البعد الجيوبولتيكي لنقل عاصمة الدولة العربية الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة

أ.م.د . أعياد عبد الرضا عبدال م.د. وسام عبد الله جاسم

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص

إن للمدينة العربية الإسلامية صفاتها المتصلة بالأيديولوجية التي تؤمن بها وتكونها وتميزها من المدينة الغربية التي تعبر عن حضارتها ، وتحكم المفهوم العربي لعواصم المدن في العصر الإسلامي أسس واضحة ينبغي أخذها بالنظر عند تناول أي جانب من جوانبها مما يشكل الإطار العام والمحاور الواضحة التي تميز المدينة العربية الإسلامية من غيرها من المدن ، إن عملية اختيار حواضر للدولة العربية الإسلامية قديمة بقدم ظهور الإسلام وانتشاره ، إذ بدأت منذ عهد الرسول الكريم ونشره للدعوة الإسلامية ، فقد ارتبطت تلك الحواضر ارتباطاً كاملاً بالإسلام كمنهج وطريقة في الحياة وبكل التفاصيل السياسية والإدارية و الاقتصادية مما أنعكس على شكلها المادي .

تأثر المفهوم العربي لاختيار عواصم المدن في العصر العربي الإسلامي بمجموعة من الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية التي تغيرت على الخارطة الإسلامية في عصور الدولة العربية الإسلامية المختلفة لكنها كانت تتميز بصفة الإقليمية ، إذ إن الأُسس النظرية والأحكام المرعية واحدة ، كما أنها لم تعرف الحدود والفواصل التي تتأكد على خارطتها اليوم ، فضلاً عن أن عوامل التقارب والتضامن والاندماج في إطار الدين و اللغة كانت أقوى من عوامل العزلة التي تلاحظ اليوم ، ومن ثم فان التشابه والتماثل قائمان يؤكدان هذه الصفة و أن وجدت اختلافات في التفاصيل فإنها ترجع إلى عوامل البيئة المحلية ، ويؤكد دور المدينة العربية الإسلامية تميزها وانتشارها وأهميتها التاريخية و الحضارية مرتبطة بالإسلام ودعوته ، قائمة على منهجه وتعاليمه .

المقدمة :

تعتز كل امة بتراثها الحضاري ويعد التراث الجغرافي العربي احد الجوانب المهمة لذلك التراث لما يبرزه من صور أصيلة، ولكونه ترجمة صادقة لكل تاريخ الأمم و الشعوب من ماضٍ زاهر ، والبلاد العربية والإسلامية غنية بتراث جغرافي عربي أصيل ينتشر في مختلف المناطق و يبرز جوانب حضارية من التاريخ العربي الإسلامي و في الوقت نفسه يعكس الشخصية الذاتية والهوية الجغرافية لكل إقليم ،

وقد جاءت هذه الدراسة لتبرز المفهوم السياسي لنقل مركز العاصمة من المدينة المنورة إلى الكوفة لتكون أول حاضرة للإسلام في العراق ، فضلاً عن إبراز المفهوم الإداري والتخطيطي والوظيفي لعواصم الخلافة العربية الإسلامية المتمثلة بموضوع الدراسة ، من خلال إبراز الدور الذي أدته كل عاصمة من هذه العواصم ، وكذلك أبراز العامل الأساس الذي أدى إلى اختيار العاصمة الجديدة والإنتقال إليها من خلال دراسة تحليلية لهذه المبررات وتوضيح الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الانتقال ، وماهية هذه الأسباب سياسية أم أدارية أم تخطيطية ، والكشف عن مظاهر الأصالة المتمثلة في عواصم تلك المدن ، ومن ثم إظهار الخصائص المشتركة لها وخصوصية كل منها .

تتلخص مشكلة الدراسة في البحث عن العامل الرئيس لنقل عاصمة الدولة العربية الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ، في حين تضمنت فرضية الدراسة التركيز على البعد الجيوبولتيكي لعملية الانتقال تلك والتطرق إلى عوامل أخرى ساهمت أيضا بشكل أو باخر ، وقد تم اختيار المدة من سنة (1هـ – 41هـ / 622م – 661م) إذ تمثلت هذه المدة مع اعتبار المدينة المنورة أول عاصمة للدولة العربية الإسلامية التي اعتمدت أساساً في بناء وتأسيس العواصم اللاحقة إلى سنة اختيار مدينة الكوفة والإنتقال إليها ، وتفسر الدراسات الأثرية التحليلية المردود الثقافي والحضاري في إطار استنطاق المادة من خلال ما توفره هذه الآثار من معلومات وأفكار ، فضلاً عن هذا التوجه ينبغي تتبع مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها مصادر الفكر السياسي والاجتماعي للمسلمين في مراحل تاريخية متعاقبة لأهميتها في رسم صورة مثالية للنهجين السياسي والاجتماعي في ضوء التجربة والتقييم الحضاري بوضع الصيغ القانونية الإسلامية التي تحكم حياة المجتمع في جميع جوانبها ، كما تأتي المصادر الأخرى من تاريخية و جغرافية و علمية لتكشف عن

المساهمات الفكرية التي أثرت في تشكيل حياة الحواضر العربية الإسلامية في عصورها المختلفة ، اما بالنسبة لمنهج الدراسة المستخدم فهو المنهج التاريخي .

وتأتي الدراسة في مبحثين إذ عالج المبحث الأول مفهوم وموقع و ميزات العاصمة واختيار العاصمة والانتقال للبديل من عامل الموضع و الموقع وتناول المبحث الثاني مفاهيم العواصم من مفهوم سياسي و أداري و وظيفي و تخطيطي.

المبحث الأول (اختيار العاصمة والانتقال للبديل)

1-1 : مفهوم العاصمة Capitale

العاصمة مؤنث العاصم ، ولقب المدينة وتكون كقاعدة البلاد جمعها العواصم (1) ، ومعنى العاصم هو المانع ومنه قوله تعالى ((لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم))(2)، وهي مواقع منيعة تعصم من عدوان الأعداء وتكون حافظة لغيرها من مغبة الاعتداء أو السقوط إذ تقع عليها مهمة إسناد سائر المدن التي تنضوي تحت لوائها (3) ، والعاصمة هي مركز السلطة والإدارة ، واشتقاق الاسم يعني الحامي والمانع (4) ، والعاصمة في الجغرافية المدنية مدينة لها دور سياسي وهي مركز الحكم والإدارة في الدولة وهي كولاية داخل الدول الكبرى على وجه العموم (5)وبذلك فالعاصمة هي المكان الذي تمارس فيه الدولة جميع أو احد سلطاتها الثلاث وهي السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية (6) ، وعلى الرغم من تعدد المدن واتساعها إلا أن الدولة كانت تختار لمقراتها الإدارية والسياسية إحدى هذه المدن بعناية تامة ، الأمر الذي دفع إلى اختيار مصطلح يميز هذه المدينة من سواها و هو " الحاضرة " التي تعني في اللغة الحي العظيم الذي يمتاز بالسعة والشمول (7) ، والحاضرة Metropole اتسعت رقعتها وزاد عمرانها وتعددت وظائفها (8) ، وبهذا يكون معنى الحاضرة المدينة الكبيرة التي تدار من خلالها أمور الدولة السياسية والإدارية والعسكرية مما يفسر وجود قصر الخليفة أو الحاكم أو الملك أو الرئيس الذي يشرف من خلاله على سير الأمور في الدولة (9) .

1-2 :موقع العاصمة

إن العاصمة تكشف من خلال موقعها عن التاريخ السياسي لدولتها ومدى استجابتها لتيارات الحضارة مما يشير إلى إن عامل الموقع (الوسط الهندسي) وعامل الوقوع في قلب مراكز الجذب لاتكفي لتفسير مواقع كل عواصم العالم (10) ، ليست كل العواصم ثابتة بل ينتقل موقع العاصمة أحيانا من موضع إلى أخر ويطلق على هذا الانتقال هجرة

العواصم ، وترجع أسباب الهجرة هذه إلى عدد متنوع من العوامل بعضها اقتصادي مثل توسع منطقة الإنتاج الاقتصادي وانتقالها أو تغير طرق المواصلات والنقل والتجارة ، وبعضها سياسي مثل التوجيه الجغرافي (تغير سياسات الدولة بين الاهتمام بداخل الدولة وبين التوجيه الخارجي أو رغبات الحكام ذاتها) (11) ، وكذلك تهاجر العواصم بسبب المنافسة أو العامل التاريخي (أي تكافؤ أو تقارب المزايا بين العواصم والمدن التي تنافسها على مركز العاصمة) ، وكذلك هجرة العواصم بتأثير الاستعمار (عواصم كان للاستعمار الدور الأول والأكبر في اختيارها كعواصم تسهم في تحقيق مصلحته) ، وأيضا هجرة العواصم بسبب انتقال طرق النقل والتجارة (مثل إحلال السكك الحديدية بدلاً من الطرق المائية الداخلية) ، وانتقال منطقة الإنتاج الرئيسة في الدولة وتنافس الجزر المكونة للدولة (12) ، إن عاصمة الدولة تختص بالوظيفة الإدارية والسياسية ، فضلاً عن وظائفها الصناعية والتجارية والثقافية والخدمية والرفاهية (13) ، تختلف الطريقة التي ظهرت بواسطتها العواصم إلى الوجود فبعضها ظهر على شكل مراكز تجارية تقدم خدماتها للمناطق الزراعية التي تحيط بها ، أما البعض الآخر فقد ظهر كحصون عسكرية، وبعد مدة توسعت السيطرة السياسية لهذه المدن لتشتمل على مناطق أوسع (14) ، أما العواصم الوطنية فقد ظهرت مع ظهور الدولة القومية Nation state ، وتحمل العواصم في جنباتها القومية الوطنية ، مركز استقطاب واحترام باقي مدن الأقاليم التي تتألف منها الدولة , فالعاصمة الأمن السياسي والمعنوي للدولة حاكما ومحكوما (15) ، وهناك نوع آخر من العواصم تصمم منذ البداية ويتم اختيار موضعها لغرض القيام بهذه المهمة السياسية – الإدارية بالدرجة الأولى (16) .

1– 3 : مميزات العاصمة

تتميز العاصمة من غيرها من المدن بعدة ميزات أهمها أنها مقر الحكومة الرسمي إذ تتركز بها مباني المصالح الحكومية المختلفة ومساكن الحكام والقضاة والمسؤولين عن إدارة شؤون الدولة ، وفي العاصمة يجتمع رؤساء الدول المختلفة وممثلوها كما تتركز معظم المصالح الاقتصادية مثل البنوك والشركات الاجنبية لتكون على اتصال دائم بالحكومة وعلى مقربة منها لحمايتها في أوقات الأزمات السياسية كما تتجمع في العاصمة النقابات والمنظمات العلمية والصناعية والتجارية لتكون على صلة وثيقة بالدولة بعضها مع بعض ، كما يتركز في العاصمة رؤساء الطوائف الدينية وخاصة في تلك الدول التي

قامت على أُسس دينية ، ويجتمع في العاصمة زعماء الأقليات في الدولة ، وهكذا فالعاصمة هي المدينة التي تباشر فيها الحكومة أعمالها الرسمية وتتركز فيها الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية ومنها ترسل الوزارات والهيئات الحكومية ممثليها إلى جميع مدن الدولة ، إن معظم عواصم العالم تتمثل في مدينة واحدة تختص بجميع الوظائف السابقة غير أن هناك حالات شاذة في بعض الدول (17) .

4-1 : عامل الموضع و الموقع

تحتل عملية اختيار موضع وموقع العاصمة البديلة أولوية متقدمة بين الأسس والوظائف المتعددة الأخرى لما لذلك من أهمية كبيرة في أدائها الوظيفي المطلوب مقارنة مع المدن الأخرى , يأتي ذلك لان العاصمة تمثل المرتبة الأعلى في الدور الإداري إذ تدار من خلالها شؤون الدولة حظراً وريفاً في عملية التوجيه والإشراف والمتابعة من اجل توحيد الأمة وتوجهاتها .

يعد الموقع الجغرافي من الأسس الطبيعية التي يهتم بها الجغرافي ، ويبدأ بها دراسته عادةً لأي إقليم ، وتتعدد أنماط المواقع في الجغرافية ، فالموقع الجغرافي هو موقع الإقليم بالنسبة للظاهرات الجغرافية العامة ، وترجع أهمية الموقع (18) الجغرافي بالنسبة للظواهر المختلفة إلى انه يؤثر بصورة مباشرة في المظاهر البشرية والحضارية وخاصةً فيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للسكان وكثافتهم وتركيبهم وتحركاتهم ومستواهم ونشاطهم الاقتصادي ، ويحظى موضوع الموقع الجغرافي باهتمام كبير في مجال التخطيط ، فمن الوظائف الأساسية للتخطيط اختيار الموقع المناسب لكل مدينة ولمراكز الخدمات فيها ، كما يؤثر الموقع الجغرافي في نمط نوع واستغلال المحاصيل المزروعة ، فالموقع الجغرافي من أهم عناصر البيئة الطبيعية المؤثرة في شكل وخصائص وإمكانيات أي إقليم، ومن ثم في التخطيط الإقليمي لارتباطه القوي بنظم الإنسان وحياته الاقتصادية والسياسية ، فموقع الإقليم وموقع الدولة بل وموقع المحلات العمرانية والأحياء والمساكن ومراكز الخدمات المختلفة والمزارع كلها عناصر هامة في الحياة البشرية (19) ، ويعد التركيب الجيولوجي من العوامل التي تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في إكساب المدينة بعض خصائصها مما يؤثر في أنماط استغلال الأرض ، فالعناصر المعدنية المختلفة التي تدخل في تركيب التربة تؤثر في نمط الاستغلال الزراعي وفي تحديد نوع المحاصيل المزروعة والنباتات الطبيعية التي يمكن أن تؤثر بدورها في الثروة الحيوانية (20) ،كذلك

يحتاج المخطط إلى الإلمام بأشكال السطح كالمرتفعات والوديان ودرجات الانحدار وزوايا ميل المنحدرات والأودية النهرية واتجاهات الحواجز الطبيعية الرئيسة ، ويحتاج كل شكل من هذه الأشكال إلى دراسة تفصيلية لمعرفة أهميته ودوره في المظاهر الطبيعية والبشرية والاقتصادية (21) .

إن تاريخ المدينة المنورة ممعن في القدم ، فهي كجزء من بلاد العرب قد استقبلت هجرات سابقة تعددت فيها أجناس المهاجرين ، وإذا كان من اليسير إثبات قدم مستوطنة يثرب فليس من السهل معرفة من (22) سكنها أولا ، ولكن تُجمع معظم المصادر العربية على أن (يثرب) اسم لرجل من أحفاد نوح عليه السلام ، وان هذا الرجل أسس هذه البلدة فسميت باسمه ، في الوقت الذي تكون فيه الروايات التاريخية متعددة ومتناقضة فبعضها يرجح أن أول من اختط المدينة قوم عرفوا باسم قبيلة (عبيل) ، وان الذي اختطها منهم رجل يسمى يثرب فسميت الأرض التي اختطها بإسمه ، وسواء كان يثرب أو غيره وسواء كانت عبيل أو غيرها هي التي اختطت المدينة فان المهم في ذلك إبراز أن تأسيس يثرب كان على يد رجل يتزعم مجموعة بشرية هاجرت من موطنها لتبحث عن موطن جديد يوفر لها حياة كريمة، وان هذه المجموعة وجدت في هذا الموقع أرضا خصبة، وشجراً كثيفاً، وماءً وفيراً، ووجدت أن هذا الموقع يوفر لها قدراً من الحماية الطبيعية، فاستقرت فيه وحولته إلى مستوطنة بشرية وأسمته باسم زعيمها وهذا متوافق مع المنهج الذي كانت تسلكه الأمم القديمة في حركتها وإقامتها وتأسيس مدنها .

لقد اختار الرسول الكريم ﷺ المدينة المنورة داراً للهجرة ، وأصبحت يثرب بقدومه ﷺ عاصمة أول دولة عرفها القسم الشمالي من جزيرة العرب ،كما أن نظام الحكم الإسلامي هو أول نظام عرفته المنطقة ، وكانت من قبل تتحاكم إلى أوضاع قبيلة تعارفت عليها ، واتفق الناس على النزول على حكمها ، وأصبحت المدينة المنورة بعد قدوم الرسول ﷺ عاصمة الدولة الإسلامية ، وكان رسول الله هو الزعيم الأول لهذه الدولة ، وكان دستورها هو كتاب الله وسنة رسوله ، وبعد دخول الرسول الكريم ليثرب غير اسمها وأسماها (طيبة أو طابة) واشتهرت بمدينة الرسول ثم المدينة المنورة ، وكان المقصود من وراء ذلك التغيير أن ينسى الناس معالم الجاهلية التي كانوا يعيشون فيها ، وتتفتح عيون الناس على وضع إسلامي يليق بمنهج الدولة الجديدة ، وقد شهدت المدينة مرحلة ازدهار في صدر الإسلام ابتداءً من الهجرة النبوية المشرفة ، وحتى نهاية دولة

بني أمية سنة (132ه / 749م) ، متضمنة عهد الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، ثم عهد الخلافة الراشدة وانتهاءً بالدولة الأموية ، وهذه الفترة تزيد عن القرن وثلث القرن . لقد شهدت هذه المرحلة أهم أحداث التاريخ الإسلامي ، وأدت المدينة المنورة دوراً بارزاً في صناعة هذه الأحداث العظيمة ، التي نشر الإسلام خلال هذه الحقبة من الأندلس غرباً إلى الصين شرقاً ، إن السنوات الخمس والثلاثين التي كانت خلالها المدينة المنورة عاصمة للدولة الإسلامية كانت سنوات ازدهار وتقدم لمدينة الرسول في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .

تعد الأرض التي وجدت عليها المدينة المنورة واحة حقيقية ذات تربة صالحة للزراعة ، فارضها بركانية خصبة تتوافر فيها مياه الأودية والعيون والآبار (23) ، أي أنها كثيرة المياه والشجر ، فوق هضبة العرب الوسطى واقرب الجبال إليها هو جبل احد ويقع في شمالها (24) ، والمناخ في المدينة يشبه المناخ في مكة المكرمة فهو شديد الحرارة صيفاً وبارد شتاءاً (25) ، توافرت في المدينة المنورة ومنطقتها مياه كثيرة سطحية وباطنية ، وتربة خصبة تكونت من تفكك الصخور البركانية ، ومناخ معتدل نسبياً ، وقد ساعدت هذه العوامل المختلفة اهل المدينة على الاشتغال بالزراعة وأصبحت مهنتهم الرئيسة لكسب معاشهم ، وبعمل المزارعين الدؤوب ونشاطهم وخبراتهم المتراكمة مع الزمن,تحولت يثرب إلى واحة كبرى عامرة بأجمات النخيل وبساتين الفواكه والخضروات وحقول الحبوب ، وإذا استطاع أبناء قريش أن يستغلوا إمكانات الموقع الجغرافي لبلدهم وهو في واد غير ذي زرع ، وجعله اكبر مركز لتجارة القوافل في الجزيرة العربية خلال القرنين السابقين لظهور الإسلام ، فان قاطني يثرب عملوا بدأب لاستثمار إمكانات الموضع التي توافرت في المدينة وصيروها من اكبر المناطق الزراعية في شبه الجزيرة العربية خلال المرحلة ذاتها ، وليس من قبيل الصدفة أن يكون جميع الذين استوطنوا يثرب لديهم ميول زراعية أساسية ولديهم ممارسة سابقة للزراعة في البلاد التي جاؤوا منها (26) ، أما التجارة فتاتي في المقام الثاني بعد الزراعة ، ويمكن النظر إلى أن تجارة يثرب كانت في أول أمرها محدودة بين المستوطنين أنفسهم ، غير أنها ما لبثت أن اتسعت وشملت المحاصيل الزراعية أولا ثم الحاجيات الأساسية من أدوات منزلية وأخشاب ثم الأسلحة المعروفة آنذاك مثل الرماح والسيوف والدروع ، والخلاصة إن الموضع الذي قامت فيه واحة يثرب هيأ إمكانات النشاط الزراعي ،كما هيأ الموقع على

الطريق التجاري القديم بين الشام واليمن إمكانات المبادلات التجارية المحلية والدولية ، وقد ارتفعت نسبة العاملين بالزراعة من العرب فيما ارتفعت نسبة العاملين بالتجارة من اليهود و إضافة إلى أنشطة أخرى مهمة من أهمها الرعي بين العرب وبعض الصناعات خاصة الأسلحة بين اليهود .

تقع المدينة المنورة في منطقة الحجاز إلى الغرب من المملكة العربية السعودية (حالياً)، والشمال من مكة المكرمة التي يفصلها عنها حوالي (350كم)، وللمدينة المنورة قدسية خاصة في نفوس جميع المسلمين لان بها قبر الرسول ﷺ ومسجده المشرف ، وهي مَهجر النبي من مكة ، ومنطلق إرساء دولة الإسلام ,اسمها قبل الإسلام يثرب ، ثم سميت بطيبة لطيب جوها ومناخها ومزدرعها، وكانت في الأصل حرة سبخة الأرض، ولها زروع ونخيل كثيرة تسقى من مياه الآبار، وللمدينة المنورة تسعة وعشرون اسماً منها: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، والمباركة، والمحفوفة، والمجنة، والمسلمة، والقدسية، والمرزوقة والشافية والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، والمختارة، والمحرمة، ويكفيها شرفاً وفضلاً أنها مأوى الرسول الكريم ومهاجرة(27) ، ان لموقع المدينة المتميز أثره البالغ على اختيار المدينة المنورة لتكون حاضرة للدولة العربية الإسلامية في عصر الرسول محمد ﷺ، فقد كان لموقعها على طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام أثره البالغ على نشاط الحركة التجارية فيها ، وقد ذكر اليعقوبي ذلك فقال : ((إن البحر الأعظم، "ويقصد به البحر الأحمر " يبعد عنها ثلاثة أيام ، وساحلها موضع يقال له "الجار" إليه ترسي البحار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر)) (28) ،كان موقع يثرب في الجزيرة العربية يشكل مركزاً مهماً بين العديد من المدن (مكة، دومة الجندل، الجار، العلا وغيرها من المدن القديمة)، وان اتصالات يثرب وعلاقاتها بهذه المدن جعل منها مركز التقاء ترد إليه خيراتها الوفيرة سواء المجلوبة إليها من الخارج أو الناتجة في البلد نفسه، على أن يثرب لتوسطها الطريق الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام ووقوعها في منتصف هذا الطريق البري جعل منها محطة للتجار يحطون فيها رحالهم ويستريحون فيها من عناء السفر، لذا أصبحت يثرب محطة استراحة للقوافل وسوقاً محلية يعرض فيها التجار ما يشتريه اهل يثرب منهم .ونجم عن الحركة التجارية أن تعددت الأسواق التجارية (29) ، وبذلك تكون أسباب اختيار المدينة المنورة ماياتي :

1- المدينة المنورة بلد زراعي ، والزراعة توفر الاستقرار والاستغناء عن الغير ، وهذا يضيف إلى رصيدها السابق بعداً اقتصادياً ، يوفر الضرورات التي يحتاج إليها الإنسان , ولاشك إن ذلك هيأ اهل المدينة للدعوة ، لأنهم ليسوا مشغولين بالضرب في الأرض للتجارة وكسب الرزق ، كما هوحال اهل مكة .

2- إن موقع المدينة الجغرافي يرشحها للزعامة ، فهي تقع في الوسط بين الدول الكبرى الثلاث التي كانت موجودة في ذلك العصر(الفرس ، الروم في الشمال ، والحبشة في الجنوب) والمسافات بينها وبين هذه الدولة بعيدة إذ يصعب على أي منها غزوها أو التسلط عليها . (شكل 1)

بعد انتخاب عامة المسلمين للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ارتأى الخليفة الجديد أن ينتقل إلى العراق وان يتخذ الكوفة عاصمة جديدة للدولة العربية الإسلامية ، والحقيقة أن قرار الانتقال هذا لم يكن وليد لحظته وإنما كان أمراً مدروساً من قبل الخليفة وأصحابه ولأسباب عسكرية وسياسية واقتصادية ، فمنها :

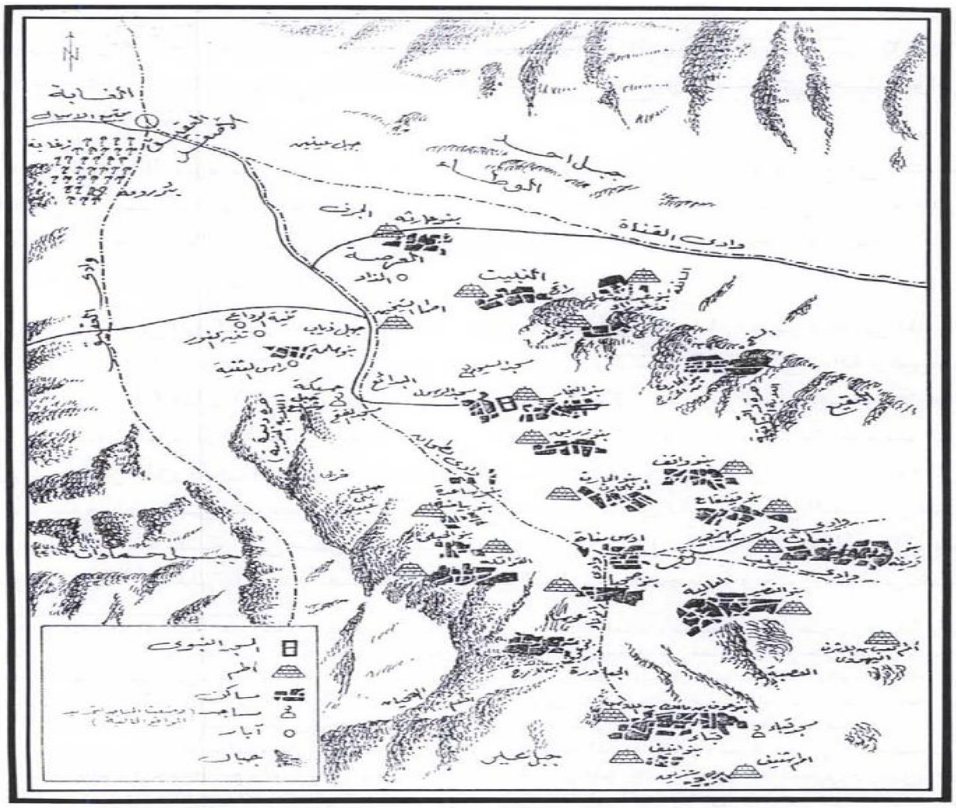

شكل (١)
النمو العمراني في المدينة المنورة أواخر العهد الجاهلي

*محمد محمود السرياني ، ماضي النمو الحضري في المدينة المنورة (دراسة في الجغرافية التاريخية) ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ، رسائل جغرافية (273) ، 2003 ، ص 19 .

أولا : تعد الكوفة إحدى المصرين (البصرة والكوفة) المهمين ، إذ تجلت أهميتها كونها قاعدة ثابتة للجيوش العربية الإسلامية المتجهة صوب الشرق ، كذلك وجود عدد لا يستهان به من الصحابة والدعاة للدين الجديد .

ثانياً : إن الانتقال إلى العراق يعني أن يكون الخليفة والجيش على مقربة من الإحداث والاضطرابات التي حدثت في الولايات او التي (30)ستحدث مستقبلاً ، فضلاً عن الأسباب السابقة ، هناك سبب اخر وهو المنزلة الدينية للكوفة ، إذ يعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربعة ، إذ أن إن ركعتين فيه تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد ، والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته ، وهي نازلة من كذا ألف ذراع . ففي زاويته فار التنور ، وعند الاسطوانة الخامسة صلى إبراهيم ﷺ ، وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي ، وفيه عصا موسى ، وشجرة اليقطين ، وفيه هلك يغوث ويعوق ، وهو الفاروق ، وفيه مسير لجبل الأهواز ، وفيه مصلى نوح عليه السلام ، ويُحشر منه يوم القيامة سبعون ألفا ليس عليهم حساب ، وأن وسطه على روضة من رياض الجنة ، وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين (31) ، وقد قال الإمام علي عليه السلام في مسجد الكوفة : ((لو يعلم الناس مافيه من الفضل لأتوه حبوا))، فيبدو أن هذه الأسباب مجتمعة هي التي حملت الامام علياً عليه السلام الخليفة أن ينتقل إلى العاصمة الجديدة الكوفة .

لقد كانت مدينة الكوفة منذ إنشائها موطن المجاهدين العرب ومركز القوة الإسلامية ، فقد شاركت جيوشها مشاركة فعالة في فتح الجزيرة – ارض مابين النهرين – وما حواليها، كما تعاونت مع جيوش البصرة في فتح أجزاء كبيرة من بلاد فارس وقد أدى هذا الفتح إلى انضمام مقاطعات غنية إلى الدولة الإسلامية التي كانت تدر دخلاً كبيراً وأموالاً طائلة ، فازدادت أهمية الكوفة حتى أصبحت قصبة العراق الأعلى يحكمها والٍ يتصرف في إمارته تصرف المستقلين ويعين الولاة من قبله على الولايات المفتوحة (32) ، أن السمات العامة لمناخ مدينة الكوفة هو حار جاف صيفاً بارد ممطر شتاءاً كما هو الحال في العراق ، والأمطار فصلية تنعدم في أشهر الصيف وتبدأ بالتساقط في أواخر الخريف و أوائل الشتاء ، والرياح السائدة هي الرياح الشمالية الغربية كما هو حال الرياح في عموم العراق وهي باردة في فصل الشتاء ، حارة في فصل الصيف ، وخلال ساعات نهار الصيف ترافقها العواصف الترابية ، أما تربتها فهي من نوع تربة أحواض الأنهار

العالية تحدها من الغرب أراضٍ صحراوية جبسية ولقد شجع توفر المياه السطحية فوق أراضيها على زراعة الخضر والفواكه في مركز مدينة الكوفة ، أما المناطق الأخرى المطمورة بالغرين فقد استغلت في زراعة الشلب فضلاً عن انتشار النخيل في المناطق المرتفعة نسبياً وعلى جانبي النهر ، لذا فالخصوبة فرضت دوراً مهماً في تحديد اتجاهات التوسع العمراني نحو جهات معينة من المدينة ، و أما عن طبوغرافية المدينة فيلاحظ أن ارتفاع المدينة يزداد في الجانب الغربي من نهر الفرات باتجاه مدينة النجف إذ ان المنطقة تكون عالية فوق مستوى الفيضان ويبلغ ارتفاعها عند هذا الجانب (22م) ، ويلاحظ ان الضفة اليمنى (الغربية) من نهر الفرات أعلى نسبة من الضفة اليسرى (الشرقية) بمقدار 5–6م (33) وتقع مدينة الكوفة في الإقليم الثالث(34) ، ظلت الكوفة حتى القرن 8هـ /14م ، واحدة من المناطق المعروفة خيراتها وارداتها الزراعية ,ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى قربها من الفرات وانجاز بعض مشاريع الإرواء على أراضيها ، فالفرات يمر على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي من الكوفة ، وهو منتظم بحدائق النخيل الملتفة بعضها ببعض ، ولعل من مشروعات الري المهمة التي استفادت الكوفة منها ، ذلك المشروع الذي ارتبط اسمه باسم منفذه الوزير تاج الدين علي بن أمير الدين ، وعرف بـ(التاجية)، ويهدف هذا المشروع إلى إيصال الماء من أعلى الانبار إلى النجف مروراً بالكوفة، وذلك عن طريق قناة تأخذ ماءها من الفرات ، وقد انشأ على جانبي هذه القناة أكثر من مائة وخمسين قرية ، فاحيا بذلك أراضي شاسعة ، إن هناك العديد من القنوات التي تأخذ ماءها من الفرات ، ومن بينها نهر (ناحية) الذي تقع عليه مدينة الكوفة وتوابعها (35) ، وعند دراسة موقع الكوفة نجد أنها تقع على مشارف الصحراء (36) وهي بمثابة حلقة الوصل بين شبه الجزيرة العربية وأراضي العراق وعلى الرغم من أطلالها على أراضٍ زراعية خصبة إلا أنها كانت منطقة صحراوية بفضل امتدادها الصحراوي مع الجزيرة العربية ، أعطاها هذا الموقع أولويات مرجحة في العصر الراشدي عندما اختيرت ، فضلاً عن العامل الشخصي المتمثل بضمان الولاء السياسي المطلق للخليفة الجديد وبذلك فقد سار الإمام علي عليه السلام على نهج رسولنا الكريم عندما اختار المدينة المنورة وهاجر من مكة المكرمة لنفس السبب (37) .

ولقرب الكوفة من الصحراء ، كان أهل الكوفة دائمي الحذر خوفاً من غارات البدو من جهة وتأثراً بالروح التجارية التي يفرضها قربها من المناطق البدوية التي تحتاج إلى

كثير من السلع من جهة أخرى ، ولذلك كان من ابرز صفات أهلها الحرص الشديد على مصالحهم الخاصة وتقبلهم الكثير ، ولذا كان لايمكن الاعتماد عليهم ، ويبدو إن الهجرة إلى الكوفة قد جلبت أناسا مختلفين في عقائدهم ومدنياتهم فكانت وافداً لقوم لم يتمكن الإسلام في قلوبهم اختلطوا بأهلها الأوائل[38]، مما تقدم يتضح بان موقع الكوفة في العصر العربي العباسي لم يكن الأفضل لاتخاذها عاصمة دائمية للدولة العربية الإسلامية (شكل2)

المبحث الثاني (مفاهيم العواصم)

1-1: المفهوم السياسي للعاصمة

ارتبط إنشاء عواصم المدن في الدولة العربية الإسلامية بأغراض سياسية مباشرة تحقق هدف الاستقرار في التأسيس ، وتكون منطلقاً لتحقيق الأهداف السياسية التي ترقى إليها الدولة ، لقد أشارت الروايات الى أن للمدينة العاصمة منذ عهد النبوة دور استقبال الوفود وبعث الرسل إلى دول الأقاليم القريبة والبعيدة ، فضلاً عن ذلك تضطلع العاصمة بأمور تتعلق بتجهيز الجيش وتهيئته لتوليه أمر الفتوح ، وكذلك يتم في العاصمة التداول بشان العلاقات الدولية وعقد المؤتمرات التي تقرر مصير الدولة والمحافظة على امن الدولة لغرض السيطرة على أجزائها كما تتركز المقرات الإدارية المهمة فيها ، وتأثير التكوين المادي لهذه المدن بوظيفتها السياسية كعاصمة للدولة إذ تطورت تكوينات معمارية، تقوم بهذه الوظيفة كالقصر والدواوين وبيوت الضيافة، وعلى هذا الأساس سارت العواصم اللاحقة على هذا المسار، وقد اتصفت العواصم (الحواضر) في الدولة العربية الإسلامية بكبرها المنسجم مع السوقية (الستراتيجية) التي تتلاءم وطبيعة الدولة[39].

لما ظهر الرسول محمد ﷺ في مكة وجد فيها حكومة ثيوقراطية في يدها السلطة السياسية والدينية فاتخذ موقف المعارض ضد الحكم القائم ، ولكنه لم يستطع أن يضع أية نظم سياسية تشريعية لعدم تيسر الأمر له ، فاخذ يبحث عن بيئة صالحة لنشر رسالته فوجد في يثرب (المدينة المنورة) المكان الذي يستطيع أن ينشر به مبادئه وعقيدته الجديدة فكانت هجرته إليها فتحاً في تاريخ العرب المسلمين السياسي والديني إذ فسحت المجال لبروز عبقريته السياسية والإدارية ومقدرته على التنظيم في مختلف نواحي الحياة [40] .

(شكل 2)

مدينة الكوفة القديمة

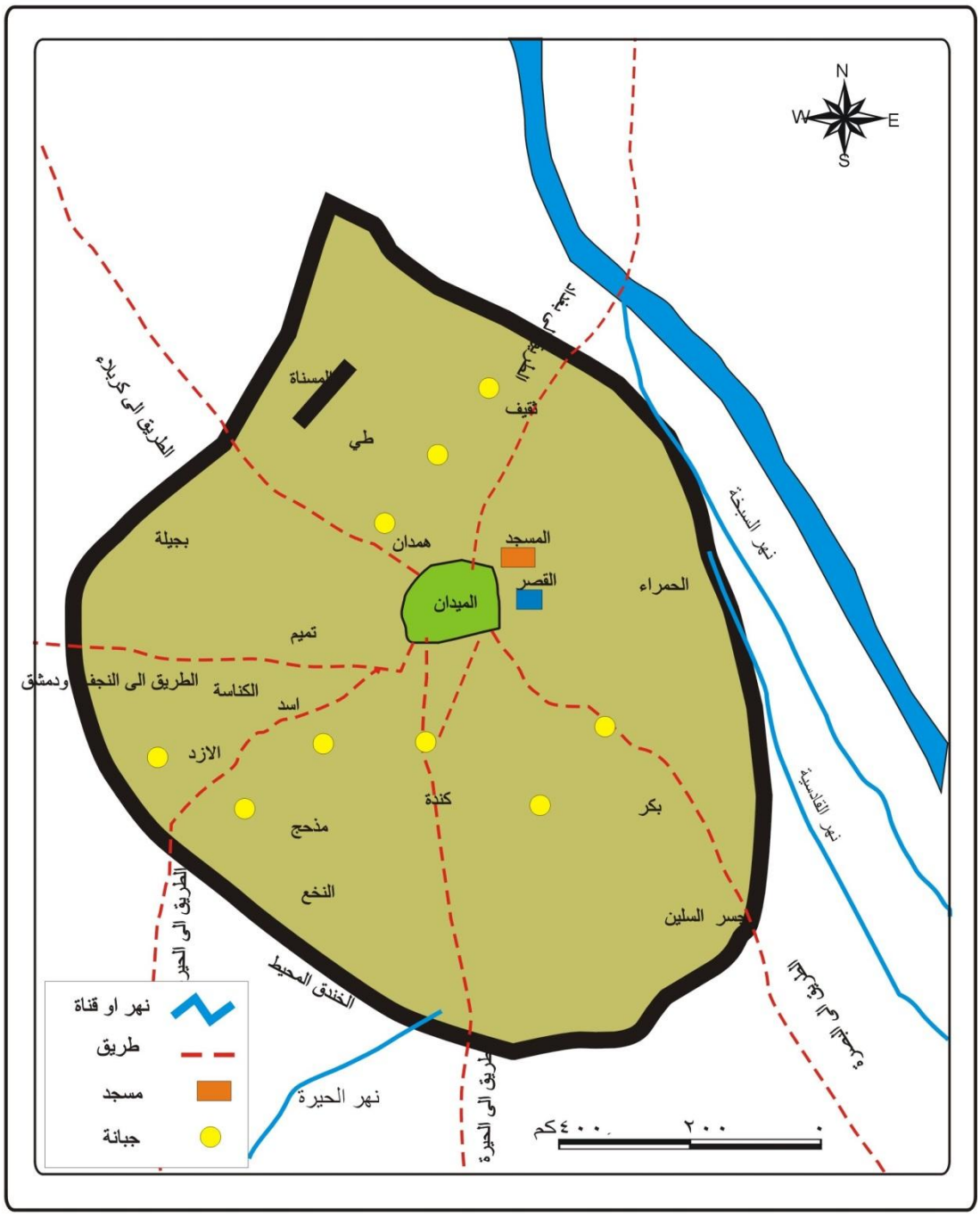

المصدر :لويس ماسينون ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة : تقي محمد المصعبي ط١ ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٩ ، ص٤٥ .

وفي عصر الرسالة اتخذ الرسول محمد ﷺ المدينة المنورة حاضرة للدولة على الرغم مما تتمتع به مكة المكرمة من مميزات تجعلها تتفوق على المدينة المنورة ، مثل الموقع السوقي (الستراتيجي) المهم الذي يشرف على طرق التجارة مع الشام والعراق على حد سواء ، فضلاً عن مكانتها الدينية إذ احتضنت وتشرفت بوجود الكعبة الشريفة ، كما أنها تتمتع بمكانة سياسية مرموقة بين مدن الجزيرة العربية ، جاء اختيار الرسول محمد ﷺ للمدينة المنورة لتكون عاصمة للدولة بمدلولات أخرى منها السياسية (41) ، إذ أن فيها غالبية أنصاره ومؤيديه الذين آووه ونصروه ،كما إن التجمعات السكانية في المدينة المنورة أصبحت متجانسة ترتبط بأكثر من رباط ، ولعل أقوى هذه الروابط هي رابطة الدين التي حلت محل رابطة القبيلة على وفق مبدأ الإخاء الذي أرساه الرسول ﷺ، ويتمثل الاعتبار السياسي لموقع المدينة المنورة الصحراوي الذي يبعد عن مكة المكرمة 457كم ، تم اختيارها لتكون عاصمة للدولة الإسلامية ذلك أن المتربصين بالدعوة الإسلامية هم مشركو مكة ، في وقت لازالت فيه الدولة فتية وإنها بحاجة لحماية مركز هذه الدولة يجعلها بعيدة عن المناطق الحدودية حتى لاتتعرض لأي غزو خارجي ، هذا الاختيار جعل المدينة المنورة مدينة محمية بفضل وجود الصحراء المحيطة بها ، وان بعد المدينة عن مكة المكرمة وفر لها الحماية الكافية للتطور ،حتى انم شركي مكة المكرمة عندما أرادوا غزو المدينة المنورة أدركوا أن ذلك ليس سهلاً بسبب بعد المسافة ونقص التموين وإرهاق المقاتلين ، الأمر الذي جعلهم يتحالفون مع يهود المدينة لكي يؤازروهم ويساندوهم ويكون التحالف بمثابة قاعدة إمداد لهم من داخل المدينة (42) ، وعند ملاحظة البناء الداخلي للمدينة المنورة يظهر أن الرسول ﷺ قد اختُير له منزل ببعد سياسي إذ انه نزل بين أخواله من بني النجار ليؤازروه ويوفروا له الأمن والحماية ويدعموا موقفه سياسياً ، كما أن اختياره للمسجد الجامع وهو المحور الرئيس للمدينة (43) دفع إلى نمو المدينة حول المسجد الجامع ذلك انه كان المقر الرسمي للرسول ﷺ ، إذ كانت تدار منه العمليات السياسية والإدارية والعسكرية فضلاً عن أمور التشريع وإرساء المفاهيم الجديدة وكان يتمتع بمنزلة فكرية وثقافية عالية ، وقد وزع الرسول ﷺ الأرض التي وهبها الأنصار له على المهاجرين فاتخذوها منازل حول المسجد الجامع(44), كما أن الأنصار خولوا الرسول ﷺ حرية التصرف بأرض الموات (الأرض غير المستصلحة وغير الصالحة للزراعة) (45) , فشغلت هذه المساحات بمنشات عمرانية إذ

اختطت فيها منازل ومساجد وفرت أمناً للمقر الرسمي للدولة المسجد الجامع إذ كانت بمثابة درع واقٍ للعاصمة ، هذه الأُسس جعلت للمدينة المنورة مكانة مرموقة بين المدن الإسلامية ، ليس في عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) فحسب بل حتى في عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، إذ شهدت الدولة العربية الاسلامية توسعاً كبيراً جراء الفتوحات التي قامت بها على محورين هما العراق بعد القادسية ومحور الشام بعد معركة اليرموك ، ولو لم تكن المدينة المنورة تتمتع بموقع سوقي وامتيازات سياسية كبيرة لما تحققت تلك الفتوحات في هذين المحورين (46) ، اما في خلافة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فلم تستمر المدينة المنورة عاصمة الدولة العربية الاسلامية إذ تم نقل العاصمة إلى مدينة الكوفة في العراق (47) .

إن المتمعن في سبب اختيار المدينة المنورة لتكون العاصمة الأولى للدولة العربية الإسلامية في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين سيرى إن اختيارها كان على وفق عامل سياسي أهلها لتتبوأ مثل هذه المنزلة ، إذ وجد فيها الرسول (عليه الصلاة والسلام) المكان الآمن والأرضية الصالحة لبناء المجتمع الجديد مما جعلها تنافس مدينة مكة المكرمة وتحتل مكانتها (48) السياسية التي كانت تحتلها منذ سالف الأزمان وباختيار المدينة المنورة عاصمة للدولة العربية الإسلامية أصبحت المدينة الرئيسة في الدولة ، إذ كانت مقراً لقادتها وجهازها الإداري ، وقد استمرت هذه المنزلة عقب وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، إذ بقي الخلفاء الراشدون الثلاثة في المدينة المنورة ولم يفكروا في اختيار مدينة أخرى لتكون عاصمة بديلة (49) ، وبقاؤهم هذا مقرون بأكثر من سبب ، ولعل السبب الرئيس يعود إلى الحرص على أتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه كان يدير محور العمليات السياسية من المدينة المنورة التي كان يحبها حباً جماً لما وفرته من موجبات الحماية والطمأنينة والأمن والالتفاف حول شخصيته عليه الصلاة والسلام ، وبناء مجتمع إسلامي سامٍ في هذه المدينة "العاصمة " (50) ، وقد أدرك الخليفة الامام علي عليه السلام ، بثاقب بصره بان المدينة المنورة لم تعد صالحة كعاصمة له لأنها ستتخلى عن إعطاء الولاء والدعم والتامين للخليفة الجديد لذا فكر في اختيار عاصمة جديدة للدولة العربية الإسلامية تأخذ على عاتقها مهمة مساندة الخليفة وحتى لاتعطل مهمات الدولة الرئيسة المتمثلة بعمليات التحرير ونشر الإسلام ، وإذا ماعرفنا أن العاصمة الجديدة التي

اختارها الخليفة الامام علي عليه السلام هي مدينة الكوفة ليكون من الضروري معرفة موجبات اختيارها لتكون البديل المناسب للعاصمة السابقة .

كانت نشأة مدينة الكوفة على وفق اعتبار سياسي بحت ، إلا أن هذا لايعني إغفال الجانب الإداري ، وعلى ما يبدو ان الامام علياً عليه السلام اخذ بالنظر عند اختيار مدينة الكوفة لتكون عاصمة للدولة العربية الإسلامية موقع الكوفة المتميز باستراتيجيته بالنسبة للأقاليم المفتوحة في المشرق الإسلامي (51) ، إذ أن هذا الموقع هيأ لها أن تكون قاعدة انطلاق عسكري وفكري صوب بلدان المشرق الإسلامي ، وان تفرض سيطرتها الإدارية على سائر المدن والأقاليم الأخرى سواءً كانت في العراق أو المشرق الإسلامي أو على مدن الشام عن طريق اتصالها بهذه المدن عبر نهر الفرات كما أن موقعها على حافة الصحراء العربية هيأ لها أن تكون ذات ارتباط أداري وثيق مع مدن الجزيرة العربية (52) ، وبهذا تظهر مكانة مدينة الكوفة الإدارية أذ اختيرت مرة ثانية لتتبوأ مكانتها السياسية كعاصمة للعباسيين إذ اختاروها لاعتبار سياسي بحت ، إذ أن اغلب مؤيدي الثورة العباسية وأنصارها كانوا من سكان الكوفة الناقمين على الخلافة الأموية ، وظلت هذه المدينة مدة قصيرة عاصمة للدولة العباسية في عهد أبي العباس عبدالله محمد ثم انتقلت الى مدينة الانبار (53) ، وهنا يمكن القول بان مدينة الكوفة قد تخلت عن أهميتها السياسية بتخلي سكانها عن تأييدهم للخلافة العباسية وهذا يعني أن ارجحية اختيارها حتى تكون عاصمة مرة ثانية كانت مقرونة بدافع سياسي أكثر من أن يكون دافعا أدارياً (54) .

تعد مدينة الكوفة إحدى المدن الإسلامية التي مصرت في العقد الثاني من القرن الأول الهجري ، وعلى وجه الخصوص بعد معركة القادسية الشهيرة ، وبهذا أصبحت مدينة الكوفة معسكراً ثابتاً للقوات العربية الإسلامية لادارة العمليات السياسية والإدارية والعسكرية صوب المشرق مما يعكس تنامي منزلة مدينة الكوفة سياسيا وعسكريا ، إذ أنها صارت قاعدة انطلاق للقوات الإسلامية باتجاه المشرق بغية الدفاع عن حدود الدولة ونشر الدين الإسلامي في تلك الأصقاع ، ان لمدينة الكوفة مكانة سياسية من حيث إمكانية الدفاع والهجوم ، مما جعلها مدينة متميزة عن غيرها من المدن أهلتها حتى تكون العاصمة المرتقبة للدولة فما أن تسنم الخليفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة سنة (35هـ / 655م) (57) ، حتى اتخذ الكوفة عاصمة له سنة 36هـ –656م ، وتخلى عن الإقامة في المدينة المنورة إذ أدرك عدم صلاحيتها، ساعد على ذلك ماتتمتع به مدينة

الكوفة من مزايا ، منها وقوعها على طرف الصحراء المرتبطة بشبه الجزيرة العربية (58)، كما أنها تطل على سهول ارض السواد بشكل خاص والعراق بشكل عام ، الأمر الذي جعلها بمثابة بوابة للمشرق الإسلامي ، هذا فضلا عن أن غالبية أهل الكوفة هم من أنصار ومؤيدي الخليفة الامام علي عليه السلام ، وهذا الأمر له مبررات سياسية إذ إن الخليفة كان حريصاً على أن يكون في بيئة تؤيده سياسياً وتناصره في مهامه السياسية والعسكرية ولعل من أولى موجبات الانتقال إلى الكوفة ، يتمثل في تأييد سكانها للخليفة الامام علي عليه السلام حتى يستطيع القيام بمهامه على أكمل صورة و بالفعل تحققت مساعيه الرامية الى إنجاح العاصمة " البديل " في مهماتها الأساسية التي أُنشئت من اجلها ، فصارت الكوفة مقرا إدارياً وسياسياً يشرف على شؤون الدولة وصارت بمثابة بوابة رئيسة باتجاه الشرق مع رديفتها البصرة أولاً ، وظلت الكوفة تحتل المكانة الأولى بين مثيلاتها من المدن في عهد الامام علي عليه السلام ، اذ بقيت عاصمة لحين وفاته ،كما تمتعت بالمنزلة نفسها في المرحلة الانتقالية التي شغلها خلفه الامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت خلافته بحدود ستة أشهر ، كما استمرت في بداية الخلافة العباسية (59) ، وعندما انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين سنة 132هـ/ 749م ، بعد النصر الذي حققه العباسيون في معركة الزاب نتيجة لتعاضد الهاشميين من علويين (60) ، وعباسيين ولأن سكان الكوفة كانوا اشد المناصرين والمساهمين في الثورة العباسية فلذلك اختيرت الكوفة مرة ثانية لتتبوأ مركز العاصمة العباسية ، وسميت بهاشمية الكوفة للدلالة على تعاضد العباسيين والعلويين أي الحكم الهاشمي (61) ، أن ذلك يعكس أهمية العامل السياسي الذي كان السبب في اختيارها إذ قام الخليفة الأول أبو العباس عبد الله بن محمد المعروف "بالسفاح " باختيارها عاصمة لخلافته ، وبعد أن اتضحت صورة الحكم وتفرد بها العباسيون دون غيرهم تحولت الكوفة إلى مدينة لاتؤيد الخليفة إذ ظهرت فيها بعض الحركات المعارضة (62) ، الأمر الذي دفع الخليفة العباسي الأول إلى التفكير بشكل جدي لاختيار عاصمة بديلة تتمتع بمواصفات تعزز الدور السياسي للعاصمة فلذلك انتقل إلى مدينة جديدة هي هاشمية الانبار (63) .

لقد ارتبط إنشاء عواصم المدن في الدولة العربية الإسلامية بأغراض سياسية مباشرة تحقق هدف الاستقرار في التأسيس ، وتكون منطلقا لتحقيق الأهداف السياسية التي ترقى إليها الدولة , وفي هذا الإطار سارت مدن العواصم في الدولة العربية الإسلامية

ابتداءاً من المدينة المنورة وحتى الكوفة وغيرها من مدن العواصم الإسلامية المستقلة شمالاً وغرباً على مدى التأريخ الإسلامي بمراحله ، وأشارت الروايات الى إن للمدينة العاصمة منذ عهد النبوة دوراً في استقبال الوفود وبعث الرسل إلى دول العالم ، فضلا عن ذلك تضطلع العاصمة بأمور تتعلق بتجهيز الجيش وتهيأته لتوليه أمر الفتوح ، وكذلك يتم في العاصمة التداول بشأن العلاقات الدولية وعقد المؤتمرات التي تقرر مصير الدولة والمحافظة على امن الدولة لغرض السيطرة على أجزائها كما تتركز المقرات الإدارية المهمة فيها ، وتأثير التكوين المادي لهذه المدن بوظيفتها السياسية كعاصمة للدولة إذ تطورت تكوينات معمارية ، تقوم بهذه الوظيفة ،كالقصر والدواوين وبيوت الضيافة ، وعلى هذا الأساس سارت العواصم اللاحقة على هذا المسار ، وتمثل الوظيفة السياسية أقدم وظائف المدن ، ولابد أن تمارس الوظيفة السياسية – الإدارية من مكان مركزي ، ومن ناحية المراتب فهناك ثلاث مراتب للمدن ذات الطبيعة السياسية – الإدارية هي مدن محلية وإقليمية وقومية ، تمثل الوظيفة العاصمية قمة تطور الوظيفة السياسية – الإدارية ولكنها ليست آخر مراحل تطور هذه الوظيفة ، ويبدو من تتبع العواصم وأسباب إقامتها أن هناك ارتباطاً بين تطور السلطة من طبيعتها العامة إلى طبيعتها الأسرية وبين تعدد العواصم التي انتقلت دوماً اتجاه الشمال مرافقة لتوسع الدولة العربية الإسلامية شمالاً والى الشمال الشرقي والغربي من الجزيرة العربية ، فقد تحولت عاصمة الدولة العربية الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ، إلى دمشق ، إلى الانبار ، إلى هاشمية الكوفة ، إلى بغداد ، إلى سامراء ، إلى المتوكلية لتستقر نهائياً في بغداد (64) .

2-2: المفهوم الإداري

تشكل الخصائص الإدارية حجر الزاوية في بناء ونجاح هيكلية الدولة ، إذ تسهم هذه الخصائص إلى جانب الخصائص السياسية في تحقيق انجازات وعظمة الدولة ، إذ أنه كلما كان موقع المدينة العاصمة مهيمناً على المدن والقصبات التي تتشكل منها الدولة ،كلما كانت سياستها الإدارية موفقة وناجحة أما إذا ضعفت القيمة الإدارية للمدينة العاصمة تلكأت سياستها الإدارية وتعطل دورها الريادي في قيادة الدولة (65) ، اتخذت المدينة المنورة عاصمة للدولة العربية الإسلامية على وفق اعتبار سياسي وقد أكمل هذا الاعتبار العامل الإداري لأهميته إذ أن الرسول ﷺ أراد أن ينشئ مدينة تتحمل أعباء الدعوة الإسلامية ويبني مجتمعاً إسلامياً خالصاً ، ولعل من أول الأمور التي انتهجها

الرسول ﷺ في مجال خلق مدينة عصرية تتلاءم وطبيعة الدعوة تتمثل بمبدأ المؤاخاة الذي عمل على الطابع القبلي وإحلال مبدأ الإخوة الإسلامية إذ آخى بين المهاجرين والأنصار (66) .

وهذه العملية لها مدلولاتها الإدارية والسياسية إذ أُريد منها النهوض بمجتمع جديد بني على أسس جديدة لم تكن معروفة سابقاً ، ولكي تؤدي المدينة المنورة دورها الإداري تم بناء المسجد الجامع في مركز المدينة ، ودعا الرسول ﷺ أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى بناء مساكنهم حول المسجد الجامع وبهذا مثل المسجد أعلى مكان مركزي لتدار منه شؤون الدولة الإدارية والسياسية (67) ، إذ كانت تعقد فيه الاجتماعات والمناقشات فيما يخص الدولة من حيث نشر المبادئ وتعليم المسلمين أصول دينهم الحنيف واستنفار الجيوش وعقود الصلح والمعاهدات وإقرار أمر الحرب .

وعلى الرغم من وقوع المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب أي في الطرف الجنوبي من الوطن العربي (68) ، إلا أنها استطاعت أن تفرض هيمنتها الإدارية لما لها من قدسية في نفوس المسلمين على اعتبارها المدينة التي تشرفت بالرسول محمد ﷺ والذي اتخذها عاصمة له (69) ، وقد بدأت صفحة جديدة في حياة المدينة المنورة ، عندما تسلم أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام مقاليد الخلافة سنة 35هـ، فقد قرر الخليفة تغيير العاصمة إلى الكوفة ، حيث يوجد أعوانه ومؤيدوه , وبالرغم من حرص أهل المدينة مهاجرين وأنصاراً على بقاء الخليفة في المدينة كما فعل أسلافه من قبل ، وفي منتصف سنة 41هـ آلت مقاليد الحكم إلى بني أمية، الذين حولوا العاصمة مرة أخرى إلى دمشق، وفقدت المدينة مركزها السياسي، وأصبحت تابعة للشام غير أنها بقيت إمارة تتعلق بها أعين الأمويين ، وتحظى بقدر كبير من حبهم واهتمامهم وخوفهم (70) ، انتقلت العاصمة إلى مدينة الكوفة في العراق (من المدينة المنورة) على وفق خطة ورؤيا مدروسة لأهمية هذه المدينة في فرض سلطاتها الإدارية على أنحاء الدولة (71) ، أما فيما يخص العامل الإداري لمدينة الكوفة في مطلع العصر العباسي (هاشمية الكوفة) فقد مثلت مرحلة انتقالية للخلافة العباسية إذ استمرت كعاصمة للخلافة مدة زمنية قليلة من عصر الدولة العربية الإسلامية (سنة واحدة) ، إلا أن اختيار العاصمة العباسية يكشف بشكل واضح عن أهمية العامل الإداري للعاصمة إذ أن اختيارها كان مقروناً بعدة اعتبارات أهمها (72) وقوعها في وسط الدولة الإسلامية وهذا يعني بأنها قادرة على فرض

سلطاتها الإدارية وهيمنتها على سائر أقاليم الدولة ، يعود النجاح في سياسة الخلفاء العباسيين الإدارية إلى اختيارهم الموفق لمركز العاصمة من الناحية الإدارية ، مما أعطاها ديمومة اكبر من غيرها في تبوء مركز العاصمة .

إن العواصم الإسلامية موضوع الدراسة اشتركت بدرجة الهيمنة التي تختلف درجتها من مدينة إلى أخرى ومن زمن إلى أخر وهذا الاختلاف عائد أساساً إلى قوة الحكم والمؤسسات الإدارية إذ ارتفعت درجة الهيمنة في كل من الكوفة لتحتل المرتبة الثانية مابين سائر عواصم المدن ، وتشابهت الكوفة من حيث سهولة الوصول ، وقد اشتركت العواصم الإسلامية كافة من حيث النظام الإداري إلا أن القوة تختلف باختلاف الزمان والمكان لتباين قوة سيطرة الخلافة ومركزيتها في أدارة شؤون الدولة .فقد تشابهت الكوفة من حيث قوة النظام الإداري محتلة المرتبة الأولى .

2-3 : المفهوم الوظيفي والتخطيطي

ارتكز النظام الهيكلي الوظيفي للمدينة العربية الإسلامية على مجموعة من المرتكزات والوظائف الأساسية ذات الصفة التكاملية التي تفرضها الضرورة التخطيطية بكونها تمثل المركز الحضري وبؤرة الاستقطاب المركزي لمجموعة التوابع ، لذلك فهي ترتكز على مجموعة معقدة من الوظائف والخدمات التي تتمحور حول محاور أساسية وهي الوظائف الاقتصادية والدينية والسياسية والإدارية والعسكرية ، لذلك تعتمد المدينة في نظام تخطيطها وهيكلتها الوظيفية على مجموعة من العلاقات المتكاملة بين هذه المحاور الوظيفية الثلاثة التي تنعكس على مستوى التخطيط الفيزياوي للمدينة ، لذلك ظهرت مدن اتصفت بأنها مراكز دينية ومدن ذات وظيفة سياسية وإدارية ومدن ذات صفة اقتصادية زراعية وتجارية ومدن ذات وظيفة عسكرية ونتيجة لذلك انعكس التخصص الوظيفي لكل نوع من أنواع هذه المدن على هيكلها وبنيتها الحضرية ، تعد الوظيفة الأساسية للمدينة المنورة إلى جانب وظيفتها السياسية وظيفة تجارية نتيجة لموقعها المتميز بين مدن الجزيرة العربية ، إذ تعد المدينة الثانية من حيث الأهمية التجارية بعد مدينة مكة المكرمة فكانت تصلها القوافل التجارية القادمة من الشام ومصر والعراق عبر الطرق التي تربط (73) المدينة المنورة بمدن العالم الإسلامي آنذاك ، فهناك طريق يربط المدينة المنورة بمكة المكرمة وطريق آخر يربطها بالطائف وطريق آخر يربطها ببلاد الشام يمر عبر مدينة تبوك ،كما انها ارتبطت بطريق يربطها باليمن عبر الإحساء ، وارتبطت

بالعراق بواسطة طريق يصل إلى الكوفة ومنا إلى بغداد فإلى جهة المشرق الإسلامي ، كما كانت تخرج القوافل من المدينة المنورة محملة بالبضائع والسلع التي عرفت واشتهرت به إلى كل من الشام والعراق وقد ذكرت هذه الرحلات التجارية في القران الكريم ((لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف)) (74) ، وإذا ما تم التمعن بالوظيفة التجارية يظهر اقتران هذه الوظيفة بالوظيفة الزراعية إذا ما عرف إقليم المدينة المنورة بأنه ذو ارض زراعية خصبة تكثر فيها زراعة الفواكه والنخيل (75) .

وهذا الجانب أملى على سكان المدينة احتراف مهنة الزراعة في إقليمها إذ نشطت في مرحلة ماقبل الإسلام وفي عصر الدعوة الإسلامية ، وهذا التكامل بين الوظيفتين التجارية والزراعية قاد إلى تطورهما مما أدى إلى ارتفاع المستوى المعاشي للعاملين بهاتين الوظيفتين ، وقد تحدثت كتب التاريخ أن بعض سكان المدينة "اليهود" كانوا يتعاملون بالربا بدافع الربح الكبير الذي حرمه الإسلام لاحقاً ، ليبعد المسلمين من ذوي الدخل المحدود من الوقوع في مغبة هذا التعامل ، وليبني مجتمعاً صالحاً يعمل وينتج حدود الشرع والمسؤولية الاجتماعية بعيداً عن أساليب الثراء الفاحش وغير المشروع ، مما تقدم يظهر أن الدور الوظيفي الذي أدته المدينة المنورة الذي يتمثل بالوظائف التجارية والسياسية والإدارية أهلها لتتبوأ مكاناً مركزياً متقدماً إذ أحتلت مكانة العاصمة للدولة العربية الإسلامية ، أقيمت مدينة الكوفة أساساً لغرض عسكري بحت حتى تكون قاعدة لانطلاق جيوش التحرير باتجاه المشرق الإسلامي (76) ، إلا أنه سرعان ماحفزت هذه الوظيفة وظائف أخرى في المدينة منها الزراعية وخاصة في إقليمها إذ أنها تشرف على ارض السواد الخصبة ،كما أنها مدينة تقع في منطقة زراعية نشطة نتيجة لقربها من نهر الفرات قاد هذا الأمر إلى رواج الحركة الزراعية وفي تطورها تبوأت مدينة الكوفة منزلة العاصمة للدولة العربية الإسلامية مما شجع وطور وظائف أخرى مثل الوظيفة التجارية أيضاً ، إذ احتلت مدينة الكوفة مكانة مرموقة بين مدن العراق كأعلى موقع مركزي يتمثل بالعاصمة (77) ، التي تأتيها بضائع وسلع المشرق ، إذا ما عرفنا بأن مدينة الكوفة قد ارتبطت بطرق مواصلات متعددة توصلها إلى دول العالم الإسلامي فهناك طريق يوصلها إلى مدن الحجاز مثل مكة والمدينة والطائف وارتبطت مع بلاد الشام عبر الطرق المحاذية لنهري دجلة والفرات ، فضلا عن ارتباطها بمدينة البصرة عن طريق النهرين ومن خلالها بمدن فارس (78) ،كما ارتبطت بطرق برية مع بلاد المشرق وعلى وجه الخصوص

إقليم خراسان واستغل هذا الطريق في تقوية الصلة بين مدينة الكوفة وبين هذا الإقليم سواءاً كان لأغراض التجارة أم البريد أم لأغراض إرسال البعثات إبان عمليات الفتوح ، واستمر ذلك حتى مطلع الخلافة العباسية الذي تعزز فيه دورها كعاصمة للدولة ، وهكذا انعكس الدور الوظيفي لمدينة الكوفة على بنيتها المعمارية منسجما مع متطلباتها الوظيفية(79) .

إن العرب قبل الإسلام قد عرفوا فن تخطيط المدن ولكنه تطور وازدهر في العصر الإسلامي وأصبح له شان كبير وتميز بطابع خاص واختص بالأصالة والعمق وكان له تأثير قوي في الشرق والغرب ، حيث استقى العرب من الإسلام الإلهام في الإبداع والابتكار في التخطيط والعمارة فكان التنظيم في هندسة المدن الإسلامية سمة مميزة لها سواء كان ذلك في اختيار الموضع أو الموقع وفي رسم شكلها بالعلامات على الأرض قبل الشروع ببنائها واختيار المكان المتميز بسعة الأرض وجودة المناخ ووفرة المياه والأرض الصالحة للزراعة أو القريبة من المراعي ، ولهذا تميزت المدن العربية الإسلامية بالنضوج ووضوح الصلة بين الإنسان والمكان في التخطيط والشكل العام مما جعلها تتمتع باستمرار الحياة فيها وديمومتها ، إلى جانب الصفة الطبيعية للمكان أو البقعة المختارة للمدينة ومافيه من مزايا توفر النمو والتوسع والازدهار و مع أهمية الموقع المتمثلة في الارتباطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المجاورة لها ، وهكذا نجد في المدينة العربية الإسلامية صلات وثيقة بين تكوينها الطبيعي والحضاري والروحي والاجتماعي. تميزت المدينة العربية الإسلامية عموماً بخصائص تخدم الأهداف السامية للإسلام وتحقق نظمه الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فكانت المدينة ذات نسيج تخطيطي وعمراني موحد تقريباً قوامه المسجد الجامع ودار الإمارة إذ تحيط بهما ساحة كبرى أو فضاء واسع تليها الأسواق ودواوين الدولة ثم تأتي بعدها منازل الناس ، وقد اثبت هذا الانموذج للمدينة نجاح التخطيط وحسن التنظيم وملاءمته للبيئة وللمجتمع الإسلامي ، ولهذا اتصفت المدينة العربية الإسلامية بالتنظيم الهندسي وفي مقدمتها المدينة المنورة ومدينة الكوفة (80) ، وكانت باكورة أعمال الرسول هي إنشاء المسجد النبوي الشريف بعد الهجرة فوراً وخلال السنة الأولى منها ، وقد اخذ الرسول على عاتقه المهمة الرئيسة لتوزيع الأراضي وتوطين المهاجرين في المدينة ، وكانت الخطوة التالية على ملامح تحقيق الشخصية الإسلامية ، هي إنشاء سوق جديدة

للمسلمين ، لقد أصبح المسجد النبوي هو البؤرة الأولى للمدينة المنورة ، وبنى المهاجرون والأنصار دورهم ملتفة حول المسجد ، وأصبحت السوق في مكان قريب من المسجد ، وبهذا بدأت مورفولوجية المدينة المنورة بالتشكل في وسط الواحة التي كانت تمتد من قباء جنوباً إلى مشارف جبل احد شمالاً ، لقد تطور المجال العمراني تطوراً ملموساً خلال سنوات العهد النبوي ، ثم العهد الراشدي ليستوعب الزيادة السكانية الكبيرة، مما حدا إلى القول بان المدينة المنورة ولدت مع الهجرة ، وتشكل تاريخها بعد ذلك مع النتائج التي ترتبت عليها . لقد ساعدت على هذا التطور طبيعة البنية المعمارية ليثرب الجاهلية ، فقد كانت متناثرة على شكل مجموعات سكنية , تلتف كل مجموعة حول بعضها ثم تنفصل عن المجموعة الأخرى ، أما البساتين أو اراضي الفضاء وحتى المجموعة السكنية ذاتها فقد كانت هناك فراغات واسعة فرضت طابع الانتشار والخلخلة الأمر الذي سمح بإقامة مساكن جديدة في الأراضي الخالية وسط المجموعات السكنية وعلى أطرافها .

لقد ابتدأ العمل في إقامة مدينة الكوفة بإجراء تحريات طبوغرافية في المنطقة سبقت التخطيط لاختيار الموقع المناسب المتفق مع الهدف من تأسيسها ، ثم وضعت العلامات على سطح الأرض وتم إبراز قلب المدينة الذي يقع فيه المسجد الجامع وفيه تؤدى الصلاة وشعائر الدين وتعقد فيه الاجتماعات العامة والهامة ، فضلاً عن أهميته في تحقيق الروابط الوثيقة بين المسلمين بما يساعد على تأسيس كيان متماسك يحقق هدفه في خدمة الدنيا والدين ،هذا فضلاً عن وجود دار الإمارة في مركز المدينة وبجوار المسجد الجامع مما يحقق للحاكم اتصالاً وثيقاً وسريعاً لتلبية الحاجات والطلبات وتبليغ الناس بما يستجد من أحداث وما يصدر من أوامر ،كانت الكوفة ذات شكل دائري غير منتظم فرضه الموضع الذي أقيمت عليه ، وكان لوجود المسجد الجامع في الوسط وتفرع الشوارع الواسعة منه وعلى مقربة منه الأسواق اثر يعبر عن الترابط الروحي والمادي في الحياة الهامة لسكان المدينة ، وكان المسجد الجامع أول ما أختط في الكوفة عند تمصيرها ، وكان شكله مربعاً بنيت ظلة في مقدمته وأحيط بخندق حول حدوده الخارجية ، وبقي هذا المسجد على هذه الحالة البسيطة حتى سنة (51هـ / 670م) إذ توسعت مساحته ، أما دار الإمارة فقد بنيت مع المسجد الجامع و فصلت عنه بطريق ضيق عند الضلع الجنوبي وكانت فيها أيضاً بيوت المال ، ولقربها من الأسواق العامة ومافيها من ضوضاء فقد جُعل لها بابُ يغلق عند الضرورة .

نستخلص من ذلك أن الكوفة مدينة نشأت سنة 17 ه ، والأسباب التي شجعت على إنشائها ، هي وقوعها في حافة الصحراء لا يفصلها بحر عن المدينة ، فالاتصال الفضائي بها قائم بالذات، فضلاً عن الأسباب المناخية الجيدة التي وردت في أغلب الروايات ، إن إختيار الكوفة كعاصمة مرده انها أصبحت بعد الفتح المكان الجديد والمناسب لتجمع هائل من القبائل العربية التي جعلوا منها مكاناً سامياً للتاريخ المضطرب ورحماً أساسياً للحضارة والثقافة الإسلامية الجديدة ، ولقد هدف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تخطيطها وتنظيم الفضاء الداخلي لها جعلها مركزاً للاستيطان العربي الإسلامي الجديد ، حتى ظهرت المدينة كقضية حضارية جديدة، فهي لم تعد معسكرا للجند كما خُطط لها ، بل أصبحت مدينة حقيقية متكاملة الوظائف وهو توجه معقول ومقبول ، إن بنية الفضاء الداخلي للمدينة وإقامة المساحة المركزية فيها ، أصبحت اختيارا موفقا كمركز للسلطة والدين والتجارة بعد أن تمدنت وأصبحت تفي بالإطار السياسي لوجودها وتطورها والرسم الذي انطلق فيه بناء المدينة ونشوئها ، انها كانت نقطة البداية لنواة عملت على ملء الاتجاه الذي سيكون عليه التطور المقبل في الدولة الإسلامية ، بعد أن أصبحت أنموذجاً للأمصار الإسلامية التي بنيت بعدها ، باعتبار أن هذا التخطيط كان منظما ومدروسا أكثر مما يكون، لكنه كان بحاجة ماسة إلى إدامة وتطوير مستمر.ان هذه المدينة المنشأة وفكرة بنائها واتخاذها كعاصمة جديدة للدولة تشكل استثناءً في تاريخ الإسلام ، لأن من النادر أن سبق تصورها أو تصميمها ، وهي دليل مادي ثبت أن العرب عرفوا بناء المدن وتصميمها وفتح الشوارع العريضة فيها وبناء دار الإمارة والمسجد الجامع ، والموقع الاستراتيجي لها على طرق التجارة والاتصالات مع الدول المجاورة ، فهي ليست بعيدة عنها ولا تفصلها الموانع الطبيعية كما في المدينة المنورة التي خسرت فيها الخلافة هيبة التقديس ، لقد أصبحت المدينة الجديدة النواة لتشكيل المدينة الإسلامية وكيف تطورت في العهدين الأموي والعباسي حين اعتمد التضامن البشري في الكيان القبلي القديم رغم أن هذا الاعتماد لم يكن له أدنى مفعول على جغرافية الخطط ، وبالتالي على بنية الحزام للمدينة الجديدة ، هذه المدينة التي أصبحت فيما بعد الموقع الاستراتيجي للفتوحات الإسلامية لقربها من مناطق الفتوح وغناها، وما استقرت فيها من قبائل قوية أدت دوراً في تثبيت الدولة وأتساعها ، إن بناء مدينة الكوفة واتخاذها عاصمة للدولة أصبحت في عهد الإمام قضية تاريخ شمولي أكثر من أن تكون قضية تمصير مدينة أو أعمارها ، أن هذا التوجه الجديد نحو الكوفة فيه تقويمُ على القديم المتعارف عليها في بناء المدن والعواصم وحياة السياسة والثقافة والقضاء في عهد الإمام علي عليه السلام .

الاستنتاجات

1- لقد اختار الرسول ﷺ المدينة المنورة داراً للهجرة ، وأصبحت المدينة المنورة بعد قدوم الرسول ﷺ عاصمة الدولة الإسلامية ، إذ أن موقع المدينة الجغرافي يرشحها للزعامة ، وبذلك يكون سبب اختيار المدينة المنورة لتكون العاصمة الأولى للدولة العربية الإسلامية في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين وكان على وفق عامل سياسي أهلها لتتبوأ مثل هذه المنزلة ، إذ وجد فيها الرسول (عليه الصلاة والسلام) المكان الآمن والأرضية الصالحة لبناء المجتمع الجديد مما جعلها تُنافس مدينة مكة المكرمة وتحتل مكانتها .

2- تحتل عملية اختيار موضع وموقع العاصمة البديلة أولوية متقدمة بين الأسس والوظائف المتعددة الأخرى لما لذلك من أهمية كبيرة في أدائها الوظيفي المطلوب مقارنة مع المدن الأخرى ، فقد أدرك الإمام علي عليه السلام بثاقب بصره بعد إن انتقلت الخلافة له بان المدينة المنورة لم تعد صالحة كعاصمة له لأنها ستتخلى عن إعطاء الولاء والدعم والتامين للخليفة الجديد ، لذا فكر في اختيار عاصمة جديدة للدولة العربية الإسلامية تكون ذات بعد جيوبولتيكي ، وبذلك فقد وقع اختياره على مدينة الكوفة في العراق لتكون أول حاضرة للدولة العربية الإسلامية في ارض السواد ، وبذلك يكون الامام علي عليه السلام باختياره للكوفة قد احكم سيطرته على منافذ الصحراء العربية وتاكد من انسيابية حركات التوسع العربي الاسلامي نحو المشرق الاسلامي بسهولة ويسر .

3- لقد ارتبط إنشاء عواصم المدن في الدولة العربية الإسلامية بأغراض سياسية مباشرة تحقق هدف الاستقرار في التأسيس ، وتكون منطلقا لتحقيق الأهداف السياسية التي ترقى اليها الدولة ، وفي هذا الإطار سارت مدن العواصم في الدولة العربية الإسلامية ابتداءاً من المدينة المنورة وحتى الكوفة وغيرها من مدن العواصم الإسلامية المستقلة شمالا وغربا على مدى التأريخ الإسلامي بمراحله المختلفة ، وتمثل الوظيفة العاصمية قمة تطور الوظيفة السياسية – الإدارية ولكنها ليست آخر مراحل تطور هذه الوظيفة ، ويبدو من تتبع العواصم وأسباب إقامتها إن هناك ارتباطاً بين تطور السلطة من طبيعتها العامة إلى طبيعتها الأسرية وبين تعدد العواصم التي انتقلت دوماً اتجاه الشمال مرافقة لتوسع الدولة العربية الإسلامية شمالاً والى الشمال الشرقي والغربي من الجزيرة العربية ، فقد تحولت عاصمة الدولة العربية الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ، إلى دمشق ثم إلى الانبار ثم إلى هاشمية الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى سامراء ثم إلى المتوكلية لتستقر نهائياً في بغداد.

الهوامش

1 – أمر الله محمد ، قاموس العواصم ، مطبعة كرارة الزينبية ، 1938، ص 28 .

2– القران الكريم ، سورة هود ، الآية 43 .

3 – احمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، نشر: صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1957 ص 134 .

4 – شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكير المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، 1906 ، ص 167 .

5– بيار جورج ، معجم المصطلحات الجغرافية ، ترجمة : حمد الطفيلي ، مراجعة : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، ص 557 .

6 – حسين حمزة بندقجي، الدولة (دراسة تحليلية في مبادئ الجغرافية السياسية) ط3 ، المطبعة الفنية الحديثة، السعودية، 1981 ، ص 21.

7 – ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، لسان العرب ، ج 4 ، بيروت ، 1970 ، ص 197 .

8– جورج تاتهام ، الجغرافية في القرن التاسع عشر ، بحث منشورفي الجغرافية في القرن العشرين ، ج2 ، جمع : جريفت تايلور , ترجمة : محمد السيد غلاب وآخرون ، مطبعة الهيئة المصرية العامة ، 1974، ص 475 .

9– محب بن ضيف السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، تاج العروس ، ج 8 ، دار الفكر ، ص 398 .

10 – محمد محمود إبراهيم الديب ، الجغرافية السياسية (منظور معاصر)، الطبعة السادسة ، مكتبة الانجلو ، 2008 ، ص 279 .

11 – محمد محمود ابراهيم الديب ، مصدر سابق ، ص 280 .

12 – المصدر نفسه ، ص 281.

13 – عبد الفتاح محمد وهيبة ، في جغرافية العمران ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972 ، ص90– 91 .

14– عبد الرزاق عباس حسين ، الجغرافية السياسية (مع التركيز على المفاهيم الجيبولتيكية) ، مطبعة اسعد، بغداد ، 1976 ، ص84 .

15– عبدالله عطوي ، الدولة والمشكلات الدولية ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، 1992 ، ص 80– 81 .

16– عبد الرزاق عباس حسين ، مصدر سابق ، ص84 .

17 – حسين حمزة بندقجي ، مصدر سابق ، ص 26–27

18– محمد خميس الزوكة ، التخطيط الإقليمي وإبعاده الجغرافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1991، ص 65– 67 .

19– محمد خميس الزوكة ، مصدر سابق ، ص 67 ، ص، ص 74 .

20 – محمد محمود السرياني ، ماضي النمو الحضري في المدينة المنورة (دراسة في الجغرافيا التاريخية) ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ، رسائل جغرافية (273) ، 2003 ، ص 5 – ص24.

21– احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي ، البلدان ، ليدن ، 1892 ، ص 73 .

22 – شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكير المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ،1906 ، ص 80 .

23– عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ج 1 ، الإسكندرية ، 1968، ص 543 – 544 .

24– محمد محمود السرياني ، مصدر سابق ، ص 10،ص11 .

25– يحيى الشامي ، موسوعة المدن العربية و الإسلامية ،ط 1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1993، ص 41–43 .

26- Hosen weed ,The arab kingdom , its fall by M.Gweir calcatta, 1977, p . 1-3

27 – محمد محمودالسرياني ، مصدر سابق، ص 10,19 .

28 – علي عطية شرقي ، الخليفة علي بن ابي طالب دراسة في شخصيته وإدارة الدولة في عهده ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ،كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، 1995، ص 65–66 .

29 – شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، مجلد 6 ، 1956، ص 1507 .
30 – كاظم الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية (خاصة في العصر الأموي) ، تقديم : احمد فكري ، ط 1 ، مطابع دار الجمهورية ، بغداد ، 1967 ، ص 60 .
31 – سعدون شلال ، خطة مدينة الكوفة وتطورها (مورفولوجية مدينة الكوفة) ، مجلة البحوث الجغرافية ، المجلد 1 ، العدد 1 ، 2005 ، ص 3 .
32 – ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص 1505 .
33 – طارق نافع الحمداني ، مدن العراق وقبائله العربية في العصر الحديث (دراسة تاريخية) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2010 ، ص 17–18 .
34 – كاظم الجنابي ، مصدر سابق ، ص 8 .
35 – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج 1 ، ط 7 ، مكتبة النهضة المصرية، 1964،ص 517–518 .
36 – كاظم الجنابي ، مصدر سابق ، ص 62 ,.61
37 – توفيق سلطان اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الإسلامية ، ط3 ، جامعة الموصل ، 1988، ص 39 .
38– عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، بغداد ، 1950 ، ص 15 .
39 – توفيق سلطان اليوزبكي ، مصدر سابق ، ص 39 .
40– البشاري ، مصدر سابق ، ص 8 .
41 – حسن ابراهيم حسن ، مصدر سابق ، ص 100 .
42– محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1988 ، ص 53– 54 .
43– أبو عبيد القاسم ابن سلام ، كتاب الأموال ، تحقيق : خليل هراس ، القاهرة ، 1975 ، ص 357– 358 .
44 – حسن إبراهيم حسن ، مصدر سابق ، ص 360 .
45– البلاذري ، مصدر سابق ، ص 274 .
46– توفيق سلطان اليوزبكي ، مصدر سابق ، ص 39 .
47 – حسن ابراهيم حسن ، مصدر سابق ، ص 36 .
48 – كاظم الجنابي ، مصدر سابق ، ص 60 .
49– أبو علي احمد بن عمر ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ليدن ،1891، ص 180 .
50– أبو القاسم عبدالله بن احمد الخراساني ابن خرداذبة ، المسالك و الممالك ، ليدن ، 1889 ، ص 145 .
51 – طاهر مظفر العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، بغداد ، 1976 ، ص 266.
52 – أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، 1965، ج6 ، ص 656 .
53– البلاذري ، مصدر سابق ، ص 274 .
54 – محمد بن سعد بن متبع البصري ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، 1958 ، ج6 ، ص 312 .
55 – كاظم الجنابي ، مصدر سابق ، ص 60 .
56– ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ابن خلدون ، العبر – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج 3، بيروت ، 1959، ص 231 .
57 – خالص الاشعب ، المدينة العربية ، بغداد ، 1982 ، ص 7 .
58– صالح احمد العلي ، بغداد نشأتها ونموها، العراق في التاريخ، المجمع العلمي العراقي، بغداد ، 1983 ، ص373 .
59 – شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مجلد 5 ، ص 989 .
60 – فاروق عمر فوزي، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية من 1ه –656ه ، بغداد ، 1988 ، ص60.
61– احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص 237 .
62 – خالص الاشعب ، المدينة والتحضر ، ج 5 ، حضارة العراق ، 1985 ، ص 165– 168 .
63– حسن إبراهيم حسن ، مصدر سابق ، ص 100 .

64- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 138 .
65 – ابو محمد عبد الملك الحميري ابن هشام ، السيرة النبوية ، مجلد 2 ، القاهرة ، 1974، ص 105 .
66 – اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص 73 .
67 – حسن ابراهيم حسن ، مصدر سابق ، ص 100 .
68 – محمد محمود السرياني ، مصدر سابق ، ص 31 .
69- حسن ابراهيم حسن ، ج 2 ، مصدر سابق ، ص 360 .
70- علي عطية شرقي ، مصدر سابق ، ص 110 .
71- اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص 17 .
72- القران الكريم ، سورة قريش ، الاية 1-3 .
73 – صالح مصطفى لمعي، النمو العمراني وخصائصه في المدينة المنورة ، ندوة المدينة العربية ، الرياض ، 1982 ، ص 20 .
74 – كاظم الجنابي ، مصدر سابق ، ص 1 .
75- ابن رسته ، مصدر سابق ، ص 180 .
76- البلاذري ، مصدر سابق ، ص 272 .
77- ياقوت الحموي ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 590 .
78- خالد خليل حمودي ، تخطيط مدينة الكوفة وبنائها ، الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، 1990، ص 134 .
79- محمد محمودالسرياني ، مصدر سابق ، ص 28 ,.20,22,23
80 – خالد خليل حمودي ، مصدر سابق ، ص 127,128 .

Geopolitical dimension to transfer the capital of the State of the Islamic Arabic from Medina to Kufa

Summary

The city's Arabic-Islamic qualities related to that ideology and their formation and distinguish them from the Western City of civilization. Governed by the concept of capital cities in the Islamic era clear lines should be taken into account when addressing any aspect which constitutes the general framework and clear themes characterize the city Islamic Arabic from other cities .